وزارة التعليم العـــــالي و البـــــحث العلمي
جامعة سعد دحلــــب البليـــــدة
كليـــــة العلـــــوم الاقتصـــــادية و علوم التسييـــــر
تنظم
الملتقـــــى الدولـــــي
مؤسسات الزكاة في الوطن العربي: دراسة تقويمية لتجارب
مؤسسات الزكاة و دورها في مكافحة ظاهرة الفقر

عنوان المداخلة

ماهية الفقر و كيفية محاربته في الفكر الاقتصادي الإسلامي

تقـــديــــم:

الأستاذة : خالدي خديجة khadidja_kh2000@yahoo.fr

كلية العــلوم الاقتصـــادية و علــوم التسيــير
جامعة أبو بكر بلقايد تلمســـان
ص ب 226 ايمامة - تلمسان
هاتف /فاكس 043/21/21/66

ملخص المداخلة:

إن تقرير التنمية العالمي لسنة 2001/2000 بين أنه من بين 6 مليار نسمة ، 2.8 مليار يملكون أقل من دولارين لتأمين احتياجاتهم اليومية ، و1.2 مليار نسمة يملكون أقل من دولار واحد ، هذا التدني في المستوى المعيشي يجسد ظاهرة متعددة الأبعاد هي الفقر.

تطلب الانتظار إلى غاية سنة 1948 م، للتفكير فيها من وجهة نظر قانونية و ذلك بالإعلان عن حقوق الإنسان " **كل فرد له الحق في مستوى معيشة كاف للمحافظة على صحته و راحته و راحة عائلته** "

أصبحت هذه الآفة من سمات العصر ، خاصة في دول العالم الثالث ، حيث تكثفت جهود الكثير من الاقتصاديين، و علماء الاجتماع لتفسيرها ، و إيجاد الحلول المناسبة لها .

لكن عالجها دينيا الحنيف منذ 14 قرنا، فالقرآن المجيد يعرض علينا النظرية المناسبة لتنظيم مجتمعنا ،و لم يتعامل مع ظاهرة الفقر تعاملا هامشيا بل دخل في معترك الصراع الاجتماعي .

يعرف الفقر في الدين الإسلامي ، بحالة الفرد الذي لا يملك مئونة سنة التي تكفيه وعياله و أهم ما يميز النظرية القرآنية في علاج الفوارق بين الطبقات الاجتماعية ، هو الإيمان بأن للفقراء حق ثابت في أموال الأغنياء كما تشير الآية " و الذين في أموالهم حق معلوم للسائل و المحروم " معارج (25).

و هذا الحق ينبع من قاعدة إشباع حاجات الأفراد الأساسية من الطعام و اللباس و السكن في إطار التكافل الاجتماعي .

و لقد خصص الإسلام من ربع الثروة الاقتصادية لمساعدة الفقراء و المساهمة في المشاريع و الخدمات الاجتماعية التي ترفع من مستواهم و تمنحهم فرصا حقيقية للعمل و الإنتاج في حين أن مخصصات الدول الصناعية الغربية لمعالجة الفقر لا تتجاوز 2% من إجمالي الدخل السنوي ففرض ضرائب على الثروة الحيوانية و الزراعية و المعدنية و النقدية و نحوها، بهدف إزالة أسباب الفقر و الحرمان و اقتلاع جذور الفساد الاقتصادي.

و من أساليب محاربة آفة الفقر في الفكر الاسلامي هي :

* الزكاة كما ورد في القرآن الكريم " **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها** " التوبة اية 103 .

و هي ضريبة عينية أو قيمة محددة بنسبة مئوية في الأنعام الثلاث: الإبل،البقر و الغنم و في الغلات الأربع : الحنطة، الشعير، التمر و الزبيب و في النقدين: الذهب و الفضة.

* التمويل الإسلامي بما يوفره من قروض حسنة (أي قروض بدون فائدة) .

* الخمس في قوله تعالى " **و اعلموا أن ما غنمتم من شيء، فإن لله خمسه و للرسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل** " الأنفال الآية 41 ، وهو إخراج 20% من الواردات السنوية : خمس

الغنيمة كانت أو خمس الفائدة ، أو الربح كالمعادن المستخرجة من الأرض و ما يخرج من البحار و ما يعثر عليه من كنوز.

*الصدقات الواجبة " **إنما الصدقات للفقراء و المساكين و العاملين عليها** " التوبة 60 .

*الكفارات " **يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم و من قتله منكم معتمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا العدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما** " المائدة 95.

و يشير الواقع إلى أن المجتمع الإسلامي يصرف أكثر من 25% من ثرواته العينية أو النقدية على الطبقة الفقيرة مما يساهم في تضييق الفوارق الطبقية بين الأفراد و تبقى الزكاة تحظى أهمية كبرى كوسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية في توزيع الثروات .

و قصد حصر ظاهرة الفقر كان الأولى تحديد المؤشرات التي تميز الفقير عن الغني ، من بين هذه المؤشرات المعترف بها ، مؤشر watts و مؤشر FGT .

سنفصل حيثيات هذه المداخلة من خلال النقاط التالية:

- ماهية الفقر في الفكر الغربي و الفكر الإسلامي .
- الأساليب العلمية المستعملة لقياس الفقر .
- كيفية معالجة الإسلام لظاهرة الفقر.

المداخلة

1-ماهية الفقر في الفكر الإسلامي و الغربي:

*في الفكر الغربي:

ان الفقر ظاهرة قديمة جدا، و افة اجتماعية خطيرة شهدتها البشرية عبر العصور،و هي معقدة الجوانب و متعددة الأبعاد (اجتماعية، اقتصادية، سياسية، ثقافية...) .

تعددت المفاهيم المفسرة لهذه الظاهرة من بينها :

يقول *michel mollat* أن الفقير هو الشخص الذي يجد نفسه في وضعية ضعف ، تبعية ضمن متغيرات مختلفة السلطة ، العلاقات ، مؤهلات ،القدرات العلمية ، الحرية الشخصية .

عرف رئيس البنك الدولي الأسبق "الفقر المطلق هو موضع تطبيق في سبل العيش بفعل سوء التغذية، الأمية و المرض، و الجوار القذر، و ارتفاع نسبة وفيات الأطفال، و انخفاض مستوى متوسط العمل المتوقع إلى حد يتدنى عما يصفه".

يمكن أن نقول أن الفقر يمثل حالة عجز لدى الفرد أو الأسرة تؤدي إلى الحرمان من الكثير من الأشياء و الضروريات الحياتية، و هذا العجز المؤدي إلى الحرمان يرجع إلى عدم كفاية الدخل أو لانعدامه أصلا.

لفهم أكثر ظاهرة الفقر حدد الاقتصاديون:

/**خط الفقر**: هو الحد الفاصل الذي يعتبر الإنسان عنده فقيرا إذا هبط عنه، و زيادة على الخط.

/**الفقر المطلق**: هو تلك الحالة التي لا يستطيع فيها الإنسان عبر التصرف بداخله للوصول إلى إشباع الحاجات الأساسية، المتمثلة في الغذاء، المسكن، الملبس، التعليم، الصحة و النقل.

* في الشريعة الإسلامية :

يعرفه لسان العرب: "عجز الفرد عن تلبية احتياجاته الأساسية الخاصة و احتياجات من يعيلهم".

أما التشريع الإسلامي، فيعرف بأنه :"حالة الفرد الذي لا يملك مئونة سنته اللائقة بحاله أو لعياله، بمعنى أن المئونة السنوية هي الفصل في كشف حالة الفرد فيما يتعلق بالغنى أو الفقر ".

فالفقير من لا يملك مئونة سنة، و الغني هو الذي تتحقق له مئونة سنوية لائقة بوضعه الاجتماعي.

فالفرد مضمون من الناحية المعيشية لمدة سنة كاملة، إذا دخلت السنة الجديدة و ليس لديه و عائلته ما يكفيهم، عندئذ يحق له اخذ ما يكفيه من الموارد المالية الشرعية لسنة أخرى.

2-قياس الفقر : مؤشرات FGT ,Watts

يختلف مفهوم و طرق قياسه من مجتمع لأخر، كما يختلف دخل المجتمع نفسه. فمن يعد فقيرا حسب مستويات المعيشة في الولايات المتحدة الأمريكية، قد يعد غنيا في إحدى الدول الإفريقية، كما أنه من يعتبر فقيرا نسبيا بمقاييس 20 سنة مضت، حسب متطلبات الحياة في ذلك الوقت فقد يعتبر في الوقت الحاضر يعيش في فقر مدقع.

حدد الاقتصاديون نماذج رياضية لقياس الفقر من بينها:

***مؤشر :Watts**

يرى هذا المفكر أن مدى غنى الفرد يقاس في جزئيين "غنى بشري"، "غنى غير بشري". الجزء الأول يتعلق بالمؤهلات و الحالة الاجتماعية للفرد بصفة عامة، أما الجزء التالي يتضمن مصادر المداخيل، السلبي في هذا النموذج أنه لم يعطي منهجية لتقييم الواقع الاجتماعي، كمستوى التعليم، و مدى إسهام العامل الثقافي، كما أنه لا يعطي توضيحا لما يتعلق بالتوفيق ما بين الثروة البشرية و غير البشرية.

***مؤشر :T.G.F**

اكتسب تسميته نسبة إلى مؤسسيه Foster, Greer, Thorbecke .1984

و يعتبر من بين المقاييس الأكثر استعمالا لقياس الفقر و يمثل، متوسط انحرافات الفقر. (مما يسمح بإعطاء وزن اكبر للذين يتواجدون بعيدين عن خط الفقر خلال القياس).

معادلته الرياضية:

$$P\alpha = \frac{1}{n}\sum_{i=1}^{q}\left[\frac{Z-Yi}{Z}\right]^{\alpha} ....(II.4)$$

$$avec \alpha \geq 0$$

n: العدد الكلي للسكان

q: عدد الأفراد موجودين تحت خط الفقر

Z: خط الفقر

Yi: الدخل المتفق للشخص الفقير

و بالتالي تم اقتراح ثلاث قياسات للفقر:

1 اذا كان $\alpha = 0$ ، **P0** يمثل مؤشر الفقر.

2 اذا كان $\alpha = 1$ ،**P1** يمثل فجوة الفقر، في هذه الحالة يأخذ بعين الاعتبار درجة فقر الفقراء، و يعكس تأثير الفقر H و كثافته.

العلاقة: $I=\frac{P1}{P0} \Leftarrow$ تمثل الانحراف ما بين حد الفقر و الدخل المتوسط للفقراء بالنسبة لخط الفقر.

3-معالجة الإسلام لظاهرة الفقر:

ينظر الإسلام للفقر على أنه أمر عارض من عوارض الحياة لذا يجب معالجته بطريقة حاسمة لاستئصاله و قد اخبر الرسول عليه الصلاة و السلام عن زمن يستغني فيه الناس عن الصدقة حيث روى البخاري عن حارثة بن وهب الخز اعي قال سمعت رسول الله يقول : **تصدقوا فانه يأتي عليكم زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها ، يقول الرجل لو جئت بالأمس لقبلتها فأما اليوم فلا حاجة لي بها** " ، و لم يطل الزمان كثيرا حتى أدرك المسلمون هذا الغنى و لم يوجد في مجتمعهم من يستحق الصدقة ، و ذلك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

عالج الإسلام مشكلة الفقر بالخطوات التالية:

1- فرض ضريبة ثابتة على أموال الأغنياء:

كما يقول الله عز و جل في كتابه الكريم :

" **إنهم كانوا قبل ذلك محسنين.....و في أموالهم حق للسائل و المحروم**" سورة الداريات (الآية 16 و 19).

" **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها** " **سورة التوبة** (آية **103**).

" **فلا اقتحم العقبة، و ما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيم ذا مقربة، أو مسكينا ذا متربة** " سورة البلد (آية 11-16).

2-أعط للفقراء حد كفايتهم من الناحية المعيشية مما وفر لهم فرصا لإلحاقهم بالطبقة المتوسطة.

" **و إن تخفوها و تؤتوها الفقراء فهو خير لكم**" سورة البقرة (آية 271).

" **فكلوا منها و أطعموا البائس الفقير**" سورة الحج (آية 28).

و لا يتحقق الإطعام إلا بتحقق الإشباع و الاكتفاء.

3-حث على الإنفاق المندوب و شجع على السخاء و الكرم في العطاء.

" **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون**" سورة آل عمران (آية 92).

-" **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم و مما أخرجنا لكم من الأرض و لا تيمموا الخبيث منه تنفقون و لستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه و اعلموا أن الله غني حميد**"سورة البقرة(آية267)

4- أمر بتحريك المال الصامت لتنشيط الطاقات و الإبداعات المختلفة في النظام الاجتماعي، و هدد بمعاقبة أولئك الذين يخالفون هذا النظام المالي.

" **و الذين يكنزون الذهب و الفضة، و لا ينفقونها في سبيل الله، فبشرهم بعذاب أليم**" سورة التوبة(آية 34).

وتبقى الزكاة أهم مورد لمعالجة الفقر، حيث أن لها دور كبير في علاجه كما يدل على ذلك حديث الرسول(ص) لمعاذ بن جبل حين أرسله لليمن و أمره أن يعلم من أسلم منهم:

" **إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم**"، فهي تعتبر تأمين فريد من نوعه ودائم ضد الكوارث

كما كان عمر رضي الله عنه يعمل على اغناء الفقراء بالزكاة لا بمجرد سد جوعه بلقيمات ، و قال معلقا على سياسته اتجاه الفقراء: " **لأكررن عليهم الصدقة و إن راج على أحدهم مائة من الإبل**"

و مائة إبل يعني 20 نصابا من نصب الزكاة .

لكن الزكاة ليست العلاج الوحيد، حيث يحث الإسلام على العمل، الذي يجب أن يسعى له الفرد، و يساعده أولو الأمر ، ليسد عن طريقه حاجاته، و يكفي به نفسه و أسرته، و يستغني به عن معونة غيره.

و هاته الفرص للعمل تتوفر من خلال ، مؤسسات الزكاة إذا كثرت مواردها و اتسعت حصيلتها أن تنشئ من أموالها مصانع أو مؤسسات تجارية، أو تشتري أراضي زراعية، و تملكها للفقراء حتى يحصلوا على دخل دوري يقوم بكفايتهم كاملة، و لا تجعل لهم الحق في بيعها أو نقل ملكيتها حتى تظل شبه موقوفة عليهم.

بالنسبة لتجربة الجزائر فيما يخص مشروع الصندوق الوطني للزكاة المعلن عنه من طرف وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف سنة 2003 وصل مجموع الإيرادات المتأتية من جمع الزكاة إلى 8 ملايير سنيتم توزع على حوالي 2000 عائلة على مستوى 48 ولاية ، وكان يمكن أن يكون المبلغ أكبر إلا أن المدة المخصصة لهذه العملية استمرت لـــ3 أشهر فقط لم تكن كافية لاستقطاب عدد اكبر من المزكين لان الاعتقاد السائد هو أن الزكاة تتم خلال عاشوراء فقط و الصحيح أنها تتم طوال السنة بمجرد أن يمر الحول على النصاب ، كما سيتم استغلالها ضمن مشاريع استثمارية لخلق فرص عمل لأفراد المجتمع .

خلاصة

ما يستخلص من هذه المداخلة أن الفقر ظاهرة معقدة حظيت بدراسات متعددة ، خاصة في الفكر الغربي ، و حددت أساليب معالجتها بتقنيات كمية ، لكن رغم ذلك تشير الإحصائيات إلى تزايدها بصفة مستمرة خاصة في دول العالم الثالث ، فبالنسبة للجزائر تشير آخر التقارير أنه مع نهاية سنة 2000 إلى وجود أكثر من 1.9 مليون عائلة جزائرية تعيش تحت عتبة الفقر ما يعني قرابة 12 مليون فقير .

هذه المعطيات تجعلنا نبحث بجدية عن الأسلوب الذي يستأصل الظاهرة بصفة كلية

و هو ما تقدمه الشريعة الإسلامية كعلاج ،والتي أكدت على أنه أمر عارض ،وليس دائما و الدليل على ذلك أن المجتمع الإسلامي وصل إلى مرحلة الاكتفاء في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، كما أن فرض الزكاة لا يعني وجود دائم لطبقة الفقراء ،وهو ما يوضح الفكرة للمخطئين الذين يرونها وسيلة تزيد في عدد المتسولين .

إضافة إلى الزكاة حددت موارد أخرى ،تعمل على تضييق الفوارق الطبقية ما بين الأغنياء و الفقراء لكن يبقى المشكل ، مدى وعى المجتمعات الإسلامية لأهمية تحصيل هذه الموارد المالية و استغلالها بالطريقة المثلى ، و دور المفكرين المسلمين في توضيح الرؤيا للمجتمع حول أهمية الصدقات و الزكاة كأسلوب للتقارب ما بين المسلمين ، من خلال تكاتفهم و إعانة بعضهم لبعض من الناحية المادية و ذلك ترسيخا لمبادئ الشريعة الإسلامية كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :" **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** ".

المراجع

-منار الإسلام .مجلة إسلامية ثقافية .عدد 1984.11
- كورتيل فريد الفقر : مسبباته، آثاره وسبل الحد منه ،حالة الجزائر، المركز الجامعي سكيكدة،2003
- رجم نصيب، ظاهرة الفقر و أثرها على التنمية الاقتصادية، جامعة عنابة ،2003
– جريدة الخبر، 20 أفريل 2004.
– يوسف القرضاوي، مشكلة الفقر و كيف عالجها الإسلام، بيروت لبنان.
-La quantification de la pauvreté .thèse de magister .maliki .2002 .
- Département de management, Université Laval, Québec. "Études sur le fonctionnement des banques islamiques". juin 1989
- EINAS AHMED - "banques islamiques et sociétés islamiques d'investissement", édition Fayard 1989.
- Hayder IBRAHIM ALI - "le front national islamique".
- Ibrahim WARDE - "Islamic Finance in the global economy" université presse, deux 2000.
- Lachemi SIAGH - "L'islam et le monde des affaires"- éditions d'organisation, 2003.
- Lachemi SIAGH "le fonctionnement des organisations dans les milieux de culture intenses" Cas des banques islamiques. - Thèse de doctorat, Montréal, septembre 2001.
- M. GALLOUX - "les banques islamiques privées : référents religieux, logiques commerciale". Le cas égyptien. Édition
OUDIN - «les banques islamiques en Asie du sud-est" EDICEF 1995.
-banque islamique de développement, rapport annuel 1415h (1994-1995)
-revue internationale spécialisée publiée par la faculté des sciences économiques n°09-2003